٤ – المعانى الافلاطونية عند المعتزلة*

للاستاذ محمود الخضيرى

عضو بعثة الجامعة المصرية بباريس

الخصائص المذهبية

حـ — الوعد والوعيد

تتصل مسألة الوعد والوعيد أو الجزاء والعقاب فى الحياة الآخرة (١) ، بمسألة حرية الإرادة الانسانية؛ وذلك لأن أهل السنة ذهبوا إلى أن « الوعد والوعيد كلامه [= الله] الأزلى وعد على ما أمر وأوعد على ما نهى ؛ فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعده ؛ وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده ؛ فلا يجب عليه شىء من قضية العقل ؛ وقال أهل العدل [= المعتزلة] : لا كلام فى الأزل ، وإنما أمر ونهى ووعد ؛ وأوعد بكلام محدث ؛ فمن نجا فبفعله استحق الثواب ، ومن خسر فبفعله استوجب العقاب ؛ والعقل من حيث الحكمة يقتضى ذلك » (٢) .

ويطبق المعتزلة مذهبهم العقلى فى الأخلاق عند نظرهم فى طبيعة الخير والشر الذى يتوقف على عملهما الجزاء أو العقاب ؛ وذلك لأن أهل السنة كانوا يميزون بين أصلين للعمل الخلقى وهما : السمع والعقل ؛ فقالوا : « الواجبات كلها بالسمع ، والمعارف كلها بالعقل ، فالعقل لا يحسن ولا يقبح ، ولا يقتضى ولا يوجب ، والسمع لا يعرف ، أى لا يوجد المعرفة ، بل يوجب ؛ وقال أهل العدل [= المعتزلة] : المعارف كلها معقولة بالعقل ، واجبة بنظر العقل ، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع ، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح » (٣) .

---

* راجع « المعرفة » : أعداد أغسطس وأكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٣٢ .

(١) ذكر الشهرستانى تعريف المعتزلة لمبدأ الوعد والوعيد فى العبارة التالية : « واتفقوا على أن المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض . . . . واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود فى النار ، ولكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار ، وسموا هذا النمط وعداً ووعيداً » الملل والنحل ، طبعة القاهرة ١٣٤٧ هـ ، ج ١ ص ٥٢ . انظر الفقرة التالية من هذا الفصل .

(٢) الكتاب المذكور ، ج ١ ، ص ٤٩ .

(٣) الكتاب المذكور ، ج ١ ، ص ٤٩ — ٥٠ . والحسن القبيح فى علم الكلام يعبران عن الخير والشر .

وقد كان المعتزلة يفرقون بين الخير فى ذاته والشر فى ذاته من جهة، والخير والشر بالأمر، أو النهى من جهة أخرى . قال النظام ـ (٢٤٠ هـ ٨٥٤ م) الذى سنفرد له أكبر قسم من هذا البحث ـ : « كل معصية كان يجوز أن يأمر الله سبحانه بها فهى قبيحة للنهى ، وكل معصية كان لا يجوز أن يبيحها الله سبحانه فهى قبيحة لنفسها ، كالجهل به ، والاعتقاد بخلافه ، وكذلك كل ما جاز أن لا يأمر الله سبحانه فهو حسن للأمر به ، وكل ما لم يجز إلا أن يأمر به فهو حسن لنفسه »[1] .

٥ ـ المنزلة بين المنزلتين

والآن نصل إلى الأصل الرابع ، وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين ، والذى سبق لنا أن تكلمنا عنه ، أى أن مرتكب الكبيرة : لا مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق، ولكنه فى منزلة بين المنزلتين[2] .

والإيمان عند واصل بن عطاء ـ (٨٠-١٣١هـ ٧٢١-٧٤٨ م) الذى أحدث هذا القول ـ هو : «عبارة عن خصال خير ، إذا اجتمعت سمى المرء مؤمناً » ؛ ولكن لما كان الفاسق لم يستجمع كل خصال الخير ، التى هى الشرط الذى لا قيام للإيمان إلا به ، فهو لا يسمى مؤمناً ؛ ولكنه فى الوقت نفسه لا يسمى كافراً ، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير لم تذهب عنه ، بل هى موجودة فيه ؛ ولكن إذا مات عن كبيرة ارتكبها من غير توبة فمصيره إلى النار ، إذ لا يوجد فى الآخرة إلا فريق فى الجنة ، وفريق فى النار ، وهو أيضاً خالد فى العذاب ، ولكن عذابه أقل من عذاب الكفار[3] .

والإيمان عند أصحاب العلاف (٢٣٥ هـ ٨٤٩ م) : هو جميع الطاعات فرضها ونفلها ، ولكن الكفر عندهم لا يكون إلا بارتكاب نوع محدود من الكبائر خاصة بتصور الله، مثل تشبيه الله بالخلق ، أو نسبة الظلم إليه ، أو القول بأنه خلق الظلم ؛ أو نسبة الصفات الجسمية إليه؛ أما العلاف نفسه فقد قال : « إن الإيمان كله إيمان بالله : منه ما تركه كفر، ومنه ما تركه فسق ليس بكفر ، كالصلاة وصيام شهر رمضان ، ومنه ما تركه صغير ليس بفسق ولا كفر ، ومنه ما تركه ليس بكفر ولا بعصيان كالنوافل »[4] .

ويذهب النظام (٢٤٠ هـ ٨٥٤م) إلى أن الإيمان ، هو اجتناب الكبائر وتعريف الكبائر

(١) الاشعرى : مقالات الاسلاميين ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ .
(٢) « المعرفة » ، عدد أكتوبر سنة ١٩٣٢ ص ٢٠٤ .
(٣) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ١ ص ٥٥ — ٥٦ .
(٤) الاشعرى : المقالات ، ج ١ ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

عنده « ما جاء فيه الوعيد » ، على أنه يضيف إلى هذا قوله : « وقد يجوز أن يكون فيما لم يجيء فيه الوعيد كبير عند الله،ويجوز أن لا يكون فيه كبير ، وإن لم يكن فيه كبير ؛ فالإيمان اجتناب ما فيه الوعيد عندنا وعند الله سبحانه،وإن كان فيما لم يجيء فيه الوعيد كبير، فالتسمية له بالإيمان وبأنه مؤمن يلزم باجتناب ما فيه الوعيد عندنا ؛ فأما عند الله سبحانه فاجتناب كل كبير » [١] . وأما الجُبَّائي (٣٠٣ هـ ٩١٥ م) فانه قال : إن الكبيرة لا تجعل المرء غير مؤمن ، وإنما تجعله فاسقاً فقط ؛ وذلك لأن « الايمان لله ، هو جميع ما افترضه الله سبحانه على عباده ؛ وأن النوافل ليست بإيمان،وأن كل خصلة من الخصال التي افترضها الله سبحانه ، فهي بعض إيمان لله ، وهي أيضاً إيمان بالله الخ ... [٢] » .

وبالجملة فان المعتزلة يقسمون المعاصي إلى قسمين : الكبائر والصغائر، ثم إن الكبائر تنقسم إلى نوعين : النوع الأول ، هو ما يجعل العاصي غير مؤمن ، والنوع الثاني هو ما لا يتكون منه عدم الايمان ، ثم إن المرء يصبح غير مؤمن إذا ارتكب واحداً من الأفعال التالية : تشبيه الله بالخلق ـ أي نسبة الصور الانسانية لله ـ ،ثم القول بأن الله ظالم في بعض أفعاله أو أحكامه ، وعدم التصديق لكلامه،وأخيراً عدم الأخذ بما أجمع عليه المسلمون تبعاً للنبي . ثم إن أكثر الأعمال إيجاباً للكفر عند المعتزلة،هو الاعتقاد بأن الله جسم مركب محدود ، وإلى هذا يذهب أيضاً أصحاب العلاف الذين يضيفون إلى أفعال الكفر أنواعاً اخرى أهمها القول بامكان رؤية الله في المكان ، أو الاعتقاد بأن الله خلق الظلم [٣] .

ومن المعتزلة من يقول:إن كل ما نص عليه الوعيد ـ أي كل النواهي الالهية ـ هو من الكبائر ، وكل ما لم يجيء به الوعيد ، فهو من الصغائر ، وآخرون يذهبون إلى أن كل ما عينه الوعيد أو يبدو قبيحاً للعقل فهو كبيرة ؛ وأما ما لم ينص عليه الوعيد ، أو ما يشبهه ، فهو إما كبيرة كله ، أو بعضه كبيرة وبعضه صغيرة [٤] .

هـ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أما أصل المعتزلة الخامس ، فهو أقل الأصول اتصالا بالفلسفة ، ولا ينفرد الأشعري لشرحه أكثر من سطرين ؛ ويقضي هذا المبدأ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر

(١) الكتاب المذكور ، ج ١ ص ٢٦٨ .. ٢٦٩ .
(٢) » » ، ج ١ ص ٢٦٩ .
(٣) » » ، ج ١ ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .
(٤) » » ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧٩ .

المستطاع: باللسان واليد والسيف [١] . ويشتمل هذا المبدأ ـ فى الواقع ـ على بعض غايات البعثة الاسلامية ، أى الجهاد فى سبيل الله، لكى تسود فى كل مكان شريعته وإرادته .

وبذلك نختم تلك الصفحات التى ما أردنا بها إلا مقدمات لدرس ناحية سامية من نواحى الفكر الاسلامى تعبر لنا عن اتجاه إنسانى ، هو أجل ما تستطيع الانسانية ان تتجه إليه ، أعنى النظر فى كل القيم العليا الخاصة بمجتمع معين، بمقاييس عقلية خالصة تستطيع كل المجتمعات ـ رغم اختلاف قيمها العليا الخاصة بها ـ أن تستعين بها. وبهذا وحده تزول الفوارق التى لا مبرر لها إلا اختلاف التجارب التاريخية ، وتمسك ساذج يصدر عن ضعف فى الطبيعة الانسانية بالتقاليد الماضية ، جرياً وراء سراب جذاب من الشخصية . ونرجو ـ إذا كان فى « المعرفة » الغراء سعة لموضوعنا ، أن تتمكن من موافاة القراء ـ الذين يهتمون بالمسائل الفلسفية ـ ببحثنا عن المعانى الأفلاطونية عند المعتزلة . ؟

محمود محمد الخضيرى

(١) الكتاب المذكور ، ج ١ ـ ٢٧٨ .

معركة الحيرة فى أيامها الاخيرة

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٩١٧]

وقد اختلف المؤرخون كل اختلاف فى تاريخ هذه المعركة ؛ فمنهم من جعلها فى سنة واقعة بدر الكبرى (سنة ٢ هجرية ٦٢٤م)، ومنهم من جعلها فى السنة الأولى من البعثة الموافقة لسنة ٦١٠ م، ومنهم من جعلها بين سنة ٦١٣ وسنة ٦١٨م؛ أما (نلدكه) الألمانى فيذهب إلى أنها كانت بين ٦٠٤ و ٦١٠، والمؤلف (ميور) يقول فى سنة ٦١١ [١] .

وكانت هذه الحرب ـ على أكثر الترجيح ـ فى السنة الأولى من تولى إياس أمر الحيرة بعد موت النعمان بن المنذر ؛ ولكن تاريخ هذه الولاية مختلف فيه كما سبق لنا ذكره قبيل هذا ، وعلى كل ، فان إياساً عزل من ولاية الحيرة وتولاها بعده رجل فارسى ، وبقى إياس حيناً ، وحارب جيش المسلمين الفاتحين كما سنرى ؟

يوسف غنيمة

(١) سايكس : تاريخ فارس ١ : ٥٢١ .